أهل البيت (عليهم السلام) في القرآن الكريم

بين المفهوم والمصداق

الاستاذ المساعد الدكتور

فرقان حسن صالح ربيع

كلية علوم الحاسوب والرياضيات - جامعة الكوفة

furqan.rabee@uokufa.edu.iq

الملخص

اعتنى القرآن الكريم بمجموعة اطلق عليهم لقب «أهل البيت»، حيث تجلت هذه العناية بشكل خاص في آية التطهير، وهذه العناية يُحملُ في طياتها إشارة لمقامٍ عالٍ، لذا تجد المسلمين ليومنا هذا مختلفين بمصداق من هم أهل البيت. فمنهم من قال أزواج النبي، بحكم السياق القرآني وإن البيت هو بيت أزواج النبي، ومنهم من قال هم أصحاب الكساء الخمسة. في هذا البحث إلتفاتات جديدة نادرة مبنية على الإستدلال القرآني واللغوي لأهم المفردات القرآنية المرتبطة بهذا الموضوع، ألا وهي «البيت، الأهل، أهل البيت»، لنثبت أن أهل البيت منزلة ومقام لا يحُصّلُ إلا بالجَعْلِ والإصطفاء الإلهي، والبيت المقصود هو بيت الله الحرام، وأن هذا البيت له أهل، وهؤلاء الأهل يمرون ببلاءات حتى يصلوا إلى هذا المقام والمنزلة، لترتبط بهم تكاليف ومهامَ حقيقية تجاه البيت من جهة وتجاه الناس من جهة أخرى مبينة لمعنى الجَعْل والإصطفاء الإلهي. وكذلك بينا أن مفردة «الأهل» لا تمثل الزوج أو الأبناء، وإنما هي دالة لمن حصل لهم مَيْلٌ وتوافقا فكريا وعقديا. وسنشير أيضا إلى أن «أهل البيت» هم ذرية بعضها من بعض شرطاً أساساً، لتتبعه بعد ذلك شروط الاصطفاء الأخرى التي تؤهلهم إلى هذا المقام، وأن آباءهم وذراريهم قد اصطفاهم الله وبين تكاليفهم في القرآن الكريم. ومن النكت الجديدة في بحثنا هذا هو ما سنثبته قرآنيا أن أزواج النبيﷺ يخرجن من مصداق أهل البيت بوضعهن لا يدخلن ضمن الذُرية المختصة بالجَعْل والاصطفاء.

الكلمات المفتاحية: أهل، بيت، آل، الجَعْل والإصطفاء الالهي، أهل البيت، الذرية، آل ابراهيم، أزواج النبي، آل محمد.

Ahlulbayt (PUT) in the Holy Quran: the Concept and its Credibility

Assist. Prof. Dr.

Furqan Hassan Salih

College of Computer Science and Mathematics - University of Kufa

Abstract

The holly Quran gives significant care to a group called “Ahlulbayt”, a care that is especially found in “Altatheer verse” which gives a sign for high promotion from Almighty Allah, therefore, the Muslims got a different opinion about “who the Ahlulbayt are”. Some Muslims say that they are the Prophet Mohammed’s wives; this opinion comes from the sequence of Quran verses when the “Albayt” refers to the wife’s house, the others’ opinion said they are the five of (Mohammed Family) members. In this article, notes that depend on the essential Quaranic inference “Albayt, Ahul, Ahlulbayt” are referred to as “House, Family, House sponsors”, to prove that the Ahlulbayt is a promotion that can only be gotten to persons by almighty Allah. The mentioned house refers to Macca and this house have residents who can’t get distinction unless they pass many examinations in order to be leaders of other Muslims. The researcher also shows that the terms “Ahul” which means “Family” in the Quran doesn’t refer to the wife or sons, but it refers to the persons who have intellectual and ideological compatibility. “Ahulbayt” which means “house residents” refers to sons and ancestors. Finally, it is proved from Quran that the prophet’s wives are excluded from “Ahlulbayt” because they are not from the sons as a main condition.

Keywords: Ahlulbayt, the family, the Divine Presence and Selection, the offspring, Abraham’s family, the wives of the Prophet, the family of Muhammad

المقدمة

إن كلمة أهل البيت وردت في القرآن في موضعين، الموضع الأول من سورة هود ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (٧٣)﴾ والموضع الثاني في سورة الأحزاب ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)﴾ وقد ركز المسلمون في آية سورة الأحزاب ببيان منزلة أهل البيت لأن الآيات إشارة الى معنى مهم في هذه الآية ألا وهو إذهاب الرجس والتطهير لهم من الله، ولهذه المنزلة العظيمة، صار المسلمون على خلاف في بيان من هم أهل البيت، لأن بيان هوية أهل البيت ومعرفة مصاديقهم في الواقع سيغير الكثير من المعتقدات، فالشيعة ذهبوا الى انهم محصورون بالنبي محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وذرية معينة من الحسين، بالإستناد إلى العديد من الأدلة أهمها حديث الكساء الذي سنذكره لاحقا، واما السنة فذهبوا الى ان اهل البيت تدخل نساء النبي في مصداقه بدليل سياق الآيات الكريمة وبعض الروايات، وظل مفهوم اهل البيت عند المسلمين محل خلاف مستمر بينهم. لذلك سننقل أهم الأقوال في بيان من هم أهل البيت وهي:

أولا: ما ورد في مجمع البيان في تفسير القرآن قول العلامة الطبرسي: «و(البيت) التعريف فيه للعهد، والمراد به بيت النبوة والرسالة، والعرب تسمي ما يلتجأ إليه بيتا ولهذا سموا الأنساب بيوتا، وقالوا بيوتات العرب، يريدون النسب....» وورد عنه أيضا «وقيل: البيت: بيت الله الحرام، وأهله هم المتقون على الإطلاق، لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ (٣٤)﴾ الأنفال، وقيل: البيت مسجد رسول الله ﷺ، وأهله من مكنه رسول الله ﷺ فيه، ولم يخرجه ولم يسد بابه، وقد اتفقت الأمة بأجمعها على أن المراد بأهل البيت في الآية، أهل بيت نبينا ﷺ». إلى أن قال «واستدلت الشيعة على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسة عليهم الصلاة والسلام بأن قالوا: إن لفظة (إنما) محققة لما أثبت بعدها، نافية لما لم يثبت...الخ» (الطبرسي،١٩٩٥، ج٨، ص ١١٩-١٢٠).

وقد ذكر قصة حديث الكساء في قوله «وقال أبو سعيد الخدري وأنس بن مالك وواثلة بن الأسقف وعائشة وأم سلمة: إن الآية مختصة برسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. ذكر أبو حمزة الثمالي في تفسيره: حدثني شهر بن حوشب عن أم سلمة، قالت: جاءت فاطمة عليها السلام إلى النبي ﷺ تحمل حريرة لها، فقال: ادعي زوجك وابنيك، فجاءت بهم فطعموا، ثم ألقى عليهم كساءً له خيبريا، فقال (اللهم، هؤلاء أهل بيتي وعترتي فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا)، فقلت: يا رسول الله، وأنا معهم، قال: أنت إلى خير» (الطبرسي،١٩٩٥، ج٨، ص ١١٩-١٢٠).

ثانيا: التفسير الكبير للرازي، قوله في تفسير هذه الآية «... ثم إن الله تعالى ترك خطاب المؤنثات وخاطب بخطاب المذكرين بقوله (ليذهب عنكم الرجس) ليدخل فيه نساء أهل بيته ورجالهم، واختلفت الأقوال في أهل البيت، والأولى أن يقال

هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم وعلي منهم لأنه كان من أهل بيته بسبب معاشرته ببنت النبيﷺ وملازمته للنبي» (الرازي،١٩٨١، ج٢٥، ص ٢١٠).

ثالثا: ما جاء في تفسير البحر المحيط: «ولما كان أهل البيت يشملهن وآباءهن غلب المذكر على المؤنث في الخطاب في (عنكم) (ويطهركم) وقول عكرمة ومقاتل وابن السائب: (إن أهل البيت في هذه الآية مختص بزوجاتهﷺ) ليس بجيد، إذ لو كان كما قالوا لكان التركيز ((عنكن)) و((يطهركن)) وإن كان هذا القول مرويا عن ابن عباس فلعله لا يصح عنه. وقال أبو سعيد الخدري: ((هم أهله وأزواجه)). وقال زيد بن أرقم والثعلبي: ((بنو هاشم الذين يحرمون الصدقة، آل عباس، وآل علي، وآل عقيل، وآل جعفر)) ويظهر أنهم زوجاته وأهله فلا تخرج الزوجات عن أهل البيت، بل يظهر أنهن أحق بهذا الاسم، لملازمتهن بيته عليه الصلاة والسلام، وقال ابن عطية: ((والذي يظهر أن زوجاته لا يخرجن عن ذلك البتة، فأهل البيت زوجاته وبنته وبنوها وزوجها)). وقال الزمخشري: ((وفي هذا دليل على أن نساء النبي من أهل بيته، ثم ذكر لنا أن بيوتهن مهابط الوحي....» (الاندلسي، ج٧، ص ٢٢٥).

رابعا: ما ورد في تفسير روح المعاني للعلامة الآلوسي في تفسير هذه الأية: «... وأل في البيت للعهد، وقيل: عوض عن المضاف إليه أي بيت النبيﷺ والظاهر أن المراد به بيت الطين والخشب لا بيت القرابة والنسب وهو بيت السكنى لا المسجد النبوي كما قيل، وحينئذ فالمراد بأهله نساؤهﷺ المطهرات للقرآئن الدالة على ذلك من الآيات السابقة واللاحقة مع انه (عليه الصلاة والسلام) ليس له بيت يسكنه سوى سكناهن، وروى ذلك غير واحد، أخرج ابن أبي حاتم. وابن عساكر من طريق عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما نزلت (إنما يريد الله) الخ، في نساء النبيﷺ خاصة، وأخرج ابن مردويه من طريق ابن جبير عنه ذلك بدون لفظ خاصة، وقال عكرمة من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبيﷺ، وأخرج ابن جرير. وابن مردويه عن عكرمة أنه قال في الآية: ليس بالذي تذهبون إليه إنما هم نساء النبيﷺ. وروى ابن جرير أيضا أن عكرمة كان ينادي في السوق أن قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ نزلت في نساء النبي عليه الصلاة والسلام، وأخرج ابن سعد عن عروة (ليذهب عنكم الرجس اهل البيت) قال: يعني أزواج النبيﷺ وتوحيد البيت لأن بيوت الأزواج المطهرات بإعتبار الإضافة إلى النبيﷺ بيت واحد وجمعه فيما سبق ولحق باعتبار الإضافة إلى الأزواج المطهرات اللاتي كن متعددات وجمعه بقوله تعالى في سورة الاحزاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ دفعا لتوهم إرادة بيت زينب لو أفرد من حيث أن سبب النزول أمر وقع فيه كما ستطلع عليه إن شاء الله تعالى، وأورد ضمير جمع المذكر في (عنكم. ويطهركم) رعاية للفظ الأهل. والعرب كثيرا ما يستعملون صيغ المذكر في مثل ذلك رعاية للفظ وهذا كقوله تعالى خطابا لسارة: إمرأة نبي الله إبراهيم الخليلعليه السلام ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ

اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ ومنه على ما قيل قوله سبحانه: ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ خطابا من موسى عليه السلام لإمرأته. ولعل إعتبار التذكير هنا أدخل في التعظيم، وقيل: المراد هو صلى الله عليه وآله ونساؤه المطهرات رضي الله تعالى عنهن وضمير جمع المذكرلتغليبه عليه الصلاة والسلام عليهن. وقيل: المراد بالبيت بيت النسب ولذا أفرد ولم يجمع كما في السابق واللاحق.....) (الالوسي البغدادي، جزء٢٢، ص ١٣).

خامسا: ما ورد في تفسير (في ظلال القرآن):

«فهو يسميهم (أهل البيت) بدون وصف للبيت ولا إضافة. كأنما هذا البيت هو(البيت) الواحد في هذا العالم المستحق لهذه الصفة. فإذا قيل(البيت)فقد عرف وحدد ووصف. ومثل هذا قيل عن الكعبة بيت الله. فسميت البيت. والبيت الحرام. فالتعبير عن بيت رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك تكريم وتشريف واختصاص عظيم» (سيد قطب، ص٣٣٨١).

سادسا: تفسير الميزان: «وبالبناء على ما تقدم تصير لفظة أهل البيت اسما خاصا -في عرف القرآن- بهؤلاء الخمسة وهم النبي وعلي وفاطمة والحسنان عليهم السلام لا يطلق على غيرهم، ولو كان من أقربائه الأقربين وإن صح بحسب العرف العام إطلاقه عليهم» (الطباطبائي، ج٧، ص ٤٥).

نكتفي بالموارد السابقة لبيان الآراء ووجوه الاختلاف ونعتقد أنها كافية، لكونها تضمنت الروايات الواردة في بيان المصاديق.

منهجية البحث:

في بحثنا هذا سنبين ما هو البيت، ومن هم أهله في المفهوم القرآني؟ وقد ضمنا بحثنا بأدلة من المعنى اللغوي والاصطلاحي لأهم المفردات التي دار حولها البحث تحت عنوان البحث اللغوي. زدنا على بحثنا هذا الاستخدام التاريخي لهذه المفردات مراعاةً للاستخدام التاريخي للمفردة تحت عنوان البحث التاريخي. وقمنا بمناقشة أهم الروايات لما لها علاقة ببحثنا تحت عنوان البحث الروائي. وأخيرا لخصنا بحثنا في الملخص والاستنتاجات.

المبحث الاول: البحث اللغوي

في هذا الجزء من البحث سنتناول المعنى اللغوي للمفردات المطلوبة بالبحث، وقد اعتمدنا فيها على كتاب (التحقيق في مفردات القرآن الكريم) للعلامة المصطفوي، لأنه معتمد على المعاجم المهمة والقديمة وكما سنذكر منها لاحقا. وكذلك المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته كونه موسوعة متكاملة. وفي هذا البحث نقلنا آراء اللغويين فقط، أما ما استفدنا منه واستنتجناه من معاني المفردات اللغوية فلخصناه بنهاية البحث اللغوي. والمفردات التي تناولناها هي:

أولا: مفردة -أهل-

صحاح اللغة للجوهري: أهل: أهلُ الرجل وأهلُ الدار، وكذلك الأهلّة، والجمع أهلات وأهال، وزادوا فيه على غير قياس كما في الليالي، ومنزل آهِلٌ: أي به أهلُه، وفُلانٌ أهِلُ لكذا، ولا تقل مستأهلٌ.

والعامة تقول: أهل يأهُلُ أهولاً: تزوّجَ، وكذلك تأهّلَ، ومَرحباً وأهلاً: أي أتيتَ أهلاً فاستأنِسْ ولا تستوحِشْ.

مقاييس اللغة لابن فارس: أهل الرجل: زوجه، والتأهل التزوج. وأهل الرجل: أخصّ الناس به، وأهلُ البيت سُكانه، وأهلُ الإسلام مَن يَدين به، وجمع الأهل أهلون والأهالي جماعة الجماعة، وكلّ شيء من الدواب وغيرها إذا ألف مكانا فهو آهِلٌ وأهليٌ. وآهَلك: زوجك.

مصباح اللغة للفيومي: أهَلَ المكانُ أهولاً من باب قعَد: عُمِر بأهله، وقرية آهِلة: عامِرة. وأهَلتُ بالشيء: آنستُ به. وأهّل الرجل ياهُل أُهولاً: إذا تزوّج، وتأهّل كذلك، ويطلق الأهل على الزوجة، والأهلُ: أهلُ البيت، والأصلُ فيه القرابة، وقد أطلق على الأتباع، وأهلُ البلد من استوطنه، وأهلُ العلم: مَن اتصفَ به.

«إن المعنى الحقيقي لهذه المادة: هو تحقق الأنس مع الاختصاص والتعلق. ثم إن لهذا المعنى مراتب سعةً وضيقاً، فالزوجة والأبناء والبنات والأحفاد والأصهار كلهم من الأهل، وكلما يشتد التعلق ويزداد الاختصاص: يقوى عنوان الأهليّة، فقط يكون واحد من المرتبة المتأخِّرة أقرب وأولى من الآخر المتقدِّم. فخصوصيات الأهل صفة وعملا وعقيدة وسلوكا وأدبا ومعرفة ومقاما وشأنا: تختلف باختلاف المضاف إليه من هذه الجهات» (المصطفوي، ١٣٨٥، ج١، ص ١٨٦).

ثانيا: مفردة -البيت-

مقاييس اللغة لابن فارس: أصل واحد، وهو المأوى والمآب ومجمع الشمل. يقال بيت وبيوت وأبيات، ومنه يقال لبيت الشعر بيت، على التشبيه لأنه مجمع الألفاظ والحروف والمعاني على شرط مخصوص وهو الوزن. والبيت عيال الرجل والذين يبيت عندهم، وبيت الأمر إذا دبره ليلا.

وسمي البيت من الشعر «بيتا» لضمه الحروف والكلام كما يضم البيت أهله (مجمع البحوث الاسلامية،ج٧، ص ١٧٣).

«فالبيت المطلق في لسان الشرع هو الكعبة، وهي أول بيت وضع للناس ليبيتوا فيه لربهم سجدا وقياما، وهو منسوب إلى الله المتعال» (المصطفوي،١٣٨٥،ج١،ص ٣٨٦).

ثالثا: مفردة -أهل البيت-

«ولا يخفى أن كلمة (أهل البيت) مركبة: يراد بها البيت المصطلح في علم الرجال،.... وليس بتقدير كلمة أخرى مضافة إليها، كما توهمها بعض المفسرين، ففسروها بقولهم: بأنهم أهل بيت رسول الله. والحذف والتقدير خلاف الأصل في الكلام الفصيح، مع أن ظاهر إطلاق (أهل بيت الرسول) عدم شمولها لنفس الرسول، وكذا في الآيتين- بالنسبة إلى عمران وإبراهيم عليه السلام» (المصطفوي، ١٣٨٥، ج١، ص ١٨٥).

«فقد علمنا بالقرآئن الخارجية: أن المراد من أهل البيت في الآية الأولى هو إبراهيم وزوجه. وفي الثانية

هو من في بيت عمران. وفي الثالثة هو أهل الكساء الذين كانوا تحت الكساء بأمر من رسول الله ﷺ» (المصطفوي، ١٣٨٥هـ،ج١، ص ٣٨٧).

رابعا: مفردة -آل-

«صحاح اللغة للجوهري: آل الرجل: أهله وعياله، وآله أيضا: أتباعه. والآلة: الأداة، والجمع الآلات. الآلة أيضا واحدة الآل. والآلة: الحالة والجمع آل.

مصباح اللغة للفيومي: والآل: أهل الشخص وهم ذوو قرابته، وقد أطلق على أهل بيته وعلى الأتباع، وأصله عند بعض أول: تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا مثل قال، وقال بعض: أصله أهل لكن دخله الإبدال، واستدل عليه بعود الهاء في التصغير فيقال أُهيل». (المصطفوي، ١٣٨٥هـ، ج١، ص ١٩٢).

«فالقيد في مفهوم الأهل: هو الأنس. وفي الآل: هو الرجوع والاتكاء. وأما اشتقاق أحدهما من الآخر: فغير معلوم. نعم بين هذه الكلمات اشتقاق أكبر». (المصطفوي،١٣٨٥هـ،ج١، ص ١٩٣).

خامسا: مفردة «مثابة»

وهذه المفردة جاءت مع مفردة البيت في القرآن الكريم، وسنبين ارتباطها في الأبحاث القادمة لذلك أدرجناها ضمن البحث اللغوي.

«صحاح اللغة للجوهري: الثوب واحد الأثواب والثياب، ويجمع في القلة على أثوُب، وثاب الرجل يثوب ثوبا وثوبانا: رجع بعد ذهابه، وثاب الناس: اجتمعوا وجاؤوا، وكذلك الماء إذا اجتمع في الحوض، ومثاب الحوض: وسطه الذي يثوب إليه الماء إذا استفرغ، والمثابة: الموضع الذي يثاب إليه أي يرجع إليه مرة بعد أخرى، وإنما قيل للمنزل مثابة: لإن أهله يتصرفون في أمورهم ثم يثوبون إليه. والثواب جزاء الطاعة وكذلك المثوبة، وأثاب الرجل: أي رجع إليه جسمه وصلح بدنه» (المصطفوي، ١٣٨٥هـ،ج٢، ص٤١- ٤٢).

ما يُفادُ من البحث اللغوي

اولا: مفردة «أهل» لها ثلاثة معاني نستفيدُ منها في بحثنا:

١. خصوص وعموم من جهة مع مفردة الـ «آل»، إذ إن الأهل لها معنى مشابه لمفردة «آل» لكنها أخص من الـ «آل»، فقد يكون الشخص من الآل لكن ليس من الأهل ويأتي هذا الإختصاص من باب الأنس بشي من جانب معين. وأمثلته سنبحثها بالبحث القرآني.
٢. التوافق الفكري والعقدي بين بعض الآل، يقتربون من بعضهم حتى يصلوا إلى درجة الأهل. ولهذا الموضوع دلالات سنبحثها في الاستدلال القرآني.
٣. الأهلية: أي إن الشيء تصبح له أهلية معينة باقتران هذه المفردة بهذا الشيء، كالرجل عندما يريد الزواج يقال يؤهل، أي يؤهل ان يكون

رب أسرة ويدير البيت، او يؤهل أن يكون مؤمناً كاملا كما ورد في الحديث (إذا تزوج العبد فقد أكمل نصف الدين، فليتق الله في النصف الآخر) (الالباني، ١٩٨٨، ص١٣٦)، أو يعمر البيت بأهله كما سبق ذكره، أي إن البيت يكون عامرا بمن يؤهله. وعليه هذا المعنى اللغوي للمفردة مهم لنا في بحثنا بلحاظ أنها إذا جاءت مع مفردة البيت تعطي معنىً متكاملا بأن أهل البيت هم من يؤهلون البيت للحجاج بعد ان نبين أن البيت هو بيت الله، وهذا ما سيؤيده الاستدلال القرآني لاحقا.

ثانيا: مفردة «البيت»، نستنتج منها أنها تدل على تجّمع الأمر والمعنى فيه مع استمرار الوقت، والتبييت هو ترسيخ المعنى وتجمعه كما في بيت الشِعر، وكذلك في البيت المتعارف عند بقاء الإنسان فيه ليلا يقال: بات.

ثالثا: مفردة «أهل البيت»: هو إشارة إلى أهل يقومون بتعمير هذا البيت إما بسكنه وإما بشيء آخر، وفيما يتعلق ببحثنا هي: هذا التعمير لما فيه من أهمية من تجمع المعاني العاليات، ليكون معادا ورجوعا للناس عن طريق المثابة، كي يحصلوا على مرادهم.

المبحث الثاني: البحث التاريخي

في هـذا المبحث، نتعرف أهـم الاستعمالات التاريخية للمفردات الواردة في البحث وخاصة في المدة التي سبقت الإسلام لأن القرآن الكريم نزل في تلك المدة الزمنية. وسننقل ما ورد في كتاب المفصل في تارخ العرب قبل الإسلام، لان هذا الكتاب قد نقل وحقق من كتب التاريخ الأساسية، كالطبري وابن الأثير وغيرها الكثير، وقال: نقل عن البيت أنه: «والبيت لفظة تطلق على الصغير من البيوت وعلى الكبير منها. وقد جعل (ابن الكلبي) بيوت العرب ستة: قبة من أدم، ومظلة من شعر، وخباء من صوف وبجاد من وبر، وخيمة من شجر، وقنة من حجر، وسوط من شعر، وهو أصغرها» (علي، ١٩٩٣م، ج٥، ص ١٦).

وأما مكة، فيظهر من وصف أهل الأخبار لها أنها لم تكن مسورة. وإنما كانت ذات منافذ وطرق تؤدي إلى داخل المدينة وتمر بالشعاب. وعلى كل شَعبٍ حماية حد شِعبِه من الأطراف عند دنو عدو من مكة. وأما المدينة، فلم يكن لها سور كذلك، ويمكن أن يقال مثل ذلك عن بقية قرى الحجاز. ولا نجد في وصف أهل الأخبار لقرى أهل الحجاز وبيوتها، ما يفيد بوجود أبنية ضخمة فيها على طراز أبنية اليمن. فلم يتحدث أهل الأخبار عن وجود قصور فيها تشبه (قصر غمدان) أو (قصر ذي ريـدان) أو غير ذلك من القصور. حتى مكة وهي أم القرى لا يشير أهل الأخبار إلى وجود بناء ضخم فيها على طراز أبنية اليمن، ولا وجود بيت كبير فيها على طراز بيوت سراة اليمن. و(دار الندوة)، وهي دار قصي، مؤسس ملك قريش، لم تكن دارا ضخمة ولا كبيرة على ما يظهر من روايات أهل الأخبار ويظهر أنه أهل الأخبار لم يحفلوا كثيرا بالنواحي العمرانية من الجاهلية، لذلك صارت معلوماتنا بسيطة جدا عنها من هذه الناحية (علي، ١٩٩٣م، ج٥، ص ١٦).

ويظهر من روايات أهل الأخبار عن البيوت أن في بيوت يثرب بيوت تكونت من طابقين. طابق أرضي وطابق علوي. وكانوا يسكنون الطابقين. ولعلهم يودعون ماشيتهم ودوابهم الطابق الأرضي، أو مواضع خاصة بها ملحقة بهذا الطابق. وكانت دار (أبي أيوب الأنصاري) التي نزل بها الرسول ذات طابقين نزل الرسول بطابق، وسكن أبو أيوب بالطابق الثاني (علي، ١٩٩٣م، ج٥، ص ١٧).

والبيت، مأوى الإنسان ومسكنه في الأصل، ثم تجوز الناس فأطلقوا اللفظة على المعبد، بإعتبار أنه بيت الآلهة أو الإله، لإعتقادهم أن ألآلهة تحل به. وقد كانوا يضعون الصنم أو الأصنام فيه. ويقال عندئذ بيت الله او بيت ريام وهو بيت يذكر ابن الكلبي أنه كان لحمير بصنعاء (علي، ١٩٩٣م، ج٦، ص ٤٠٠).

وأما الكعبة فالبيت المربع، وكل بيت مربع كعبة عند العرب، وقد خصصت في الإسلام بالبيت الحرام بمكة. وقد كان لربيعة بيت يطوفون به، يسمونه الكعبات، وقيل: ذو الكعبات، وقد ذكره الأسود بن يعفر شطرا في شعره، فقال: «والبيت ذي الكعبات من سنداد» (علي، ١٩٩٣م، ج٦، ص ٤٠٠).

ويذكر أهل الأخبار أن مكة حرم آمن، لا يحل فيه قتال.أما البيت: فبقي البيت معبودا مقدسا عند أهل مكة وعند غيرهم (علي، ١٩٩٣م، ج٦، ص ٤٣١).

«ويذكر أهل الأخبار أن البيت قد هُدِّم مرارا، وأن السيول قوضت قواعده عدة مرات، لذلك لم يتمكن بيت ابراهيم واسماعيل من البقاء، ولكن الجاهليين حرصوا على المحافظة على أسسه وشكله وموضعه. وإنهم كانوا بعد كل هدم او تصدعٍ يصيبه يحاولون إرجاعه إلى ما كان عليه في أيام آبائهم وأجدادهم جهد إمكانهم، لا يحدثون فيه تغيرا لا يدخلون عليه صورة بنائه تبديلا.

كانت الكعبة قبل الإسلام بخمسة أعوام صنما، أي حجارة وضعت بعضها على بعض من غير ملاط، فوق القامة، وقيل كانت تسع أذرع من عهد اسماعيل، ولم يكن لها سقف، وكان لها باب ملتصقة بالأرض. وكان أول من عمل لها غلقا هو تبع. ثم صنع عبد المطلب لها بابا من حديد، حلاها بالذهب من ذهب الغزالين. وهو أول ذهب حليت به الكعبة» (علي، ١٩٩٣م، ج٦، ص ٤٠٠).

السقاية

وفي المعابد سقايا، يستقى منها الماء للشرب وللتطهر، كأن تغسل الأوجه والأيدي والأرجل بالماء ليسمح للزائر بدخول المعبد، أو لتحل له إقامة الشعائر الدينية. وقد كانت سقاية الحاج من المآثر الكبيرة عند أهل مكة، وهي تسقية الحجاج من الزبيب المنبوذ بالماء. وكان يليها في أيام الرسول العباس بن عبد المطلب (علي، ١٩٩٣م، ج٦، ص ٤٣٢).

ويظهر أن أرض مكة كانت كلها في الأصل قبل أيام قصي حمى للكعبة، على عادة الجاهليين في تخصيص حمى لإربابهم تكون حول بيوتها، ولهذا كانت أشجار هذا الحمى أشجاراً مقدسة لا يجوز قطعها ولا احتطابها (علي، ١٩٩٣م، ج٦، ص ٤٤٠).

ما يُفادُ من البحث التاريخي

أن البيوت في تلك الحقبة كانت بيوتاً بسيطةً حتى لم يطلق عليها مسمى بيت، ويطلق على البيت للبناء الثابت أكثر من غيره، وقد كانت مفردة بيت أو «البيت» تستخدم لدور العبادة بالأخص عند العرب، وكانت هذه التسمية متعارفة عند أهل مكة ويطلق معنى البيت على الكعبة. وهذا ما سيعزز بحثنا القرآني لمعنى مفردة البيت انها مختصةٌ ببيت خاص بالعبادة وهو بيت الله «الكعبة».

اما التطهير والسقاية للحجاج فكانت متعارفاً عليها عند العرب وكان من يقوم بهذا الأمر يعمل على توفير الماء للشرب والنظافة والتطهير للحجاج. وأما منطقة الحرم فنجد أنها تتسع لتغطي كل مساحة مكة. وهـذا ما نجده إلى الآن، إذ ذهب فريق من علماء المسلمين في أن اي شخص يريد الدخول الى مكة لغرض الحج أو العمرة وجب عليه الإحرام واداء مناسك الحج او العمرة(*)، وذهب فريق آخر إلى أنه يحرم الدخول إلى مكة المكرمة إلا بإحرام حتى للزيارة او العمل إلا باستثناءات معينة(**)، عادّين العمرةَ سمةُ الدخول لهذه البلد الآمن.

المبحث الثالث: الاستدلال القرآني

في هذا الجزء من البحث نبحث الأدلة القرآنية التي تُبيْن لنا معنى المفردات التالية «أهل، بيت، أهل البيت» وهو البحث الأهم لمعرفة الاستعمال القرآني للمفردات، وبما استفدنا منه من المعنى اللغوي وظروفه التاريخية، لتحقق التناسق بين المعنيين اللغوي والقرآني. وسنناقش الآيات القرآنية المرتبطة بالبحث في مناقشتها بشكل نقاط هي كالآتي:

١. إن اول بيت وضع للناس هو بيت الله الحرام الكعبة المشرفة، وقد ورد في القرآن الكريم بالآية المباركة ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)﴾ ال عمران، تشير هذه الآية بالإفادة من المعنى اللغوي والاستعمال القرآني الى أنّ أول مكان يجمع كل معاني الإيمان، ليرجع الناس إليه هو في مكة وقد نكر في الآية في بادئ الأمر ليعرف بموضعه في مكة ومكانته العالية، وبعدها عرف بالألف والآم. وحتى يقوى إيمان الناس ويثبت، عليهم بالحج إلى البيت عند الاستطاعة، وعكس هذا الفعل، أي إعراض الناس عنه هو الكفر، والله عز وجل غني عن العالمين ولن يضروا إلا أنفسهم.

٢. يأتي ذكر البيت ومقامه بآية مباركة أخرى لتؤكد أن هذا البيت جُعِلَ للناس للرجوع إليه وأخذ المثوبة والطمأنينة والاستزادة من الإيمان، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥)﴾ البقرة

لكن في هـذه الآيـة شطراً آخر وهـو العهد إلى

إبراهيم وابنه اسماعيل بتطهير هذا البيت للأصناف المذكورة في الآية (الطاهرين والعاكفين والركع السجود) وهذا العهد يمثل تكليفاً او وظيفة (إن صح التعبير) وكلت بهم، لكن هذا التطهير هو ليس النظافة المادية وإنما الطهارة الروحية لأن القرآنَ لم يستعمل هذه المفردة إلا للطهارة الروحية قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١)﴾ الأنفال، ففي هذا الماء طهارة للروح وتثبيتٌ للأقدام وليست الطهارة المادية فقط لأن رجز الشيطان لا يذهب من الغسل بماء المطر فقط وإنما بشروط معينة كالوضوء والغسل أو التيمم، وهذا سارٍ حتى على ربط القلوب وتثبيت الإيمان، واما في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣)﴾ التوبة، فهو يختص بالتطهير المباشر من النبيﷺ بأخذ الصدقة وهي طهارة روحية لا شك فيها، وغيرها من الآيات التي تشير إلى أن الطهارة الواردة في القرآن الكريم هي للطهارة الروحية حتى لو كانت الطهارة المادية (كالوضوء والغُسُلِ بأنواعه) مقدمةً لها. وعليه إن دور إبراهيم هو دور مهم جدا بتطهير الناس الملتزمين بمناسك حج البيت أن يحصل لهم التطهير، وهذا فعل لا يصدر إلا من شخص طاهر بالأساس أو مُطهَرٌ من الله حتى يصل إلى مرتبة تطهير الناس، وقد ضرب الله عز وجل مثالا بطهارة الماء، إذ إن الماء نفسه لا يطهّر إلا أن يكون هو طاهرٌ بالأصل قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨)﴾ الفرقان.

إن المرتبة التي حصل عليها ابراهيم ليصل إلى مقام التطهير للبيت لم تحصل بسهولة وإنما مر بعدة من إبتلاءات حتى أهلته ان يكون في هذه المرتبة، قال تعالى في مقدمة آيات سورة البقرة: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤)﴾ البقرة، أي: بعد تجاوز هذه الابتلاءات، صار النبي إبراهيمعليه السلام إماما للناس بالجَعْل الإلهي بعدما كان نبيا، وعلم ابراهيمعليه السلام أهمية هذا المقام العالي، فطلبها لذريته مباشرة، لكن لم تأتِ الموافقة على نحو مطلق، لأن هناك شروطاً يجب تحققها ومنها اجتياز الابتلاء، وبعد اجتيازه يتم اختيار الإمام ليكلف بان يطهر البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود.

وأن مكة هي عبارة عن بناء من الأحجار، لكنه اكتسب قيمةً من الجَعْل الإلهي له بأن يكون مثابة للناس، وعليه فإن مطهر هذا البيت يجب أن يكون مجعولا أيضا من الله سبحانه وتعالى بدلالة «العهد» في الآيتين ١٢٤و ١٢٥ من سورة البقرة ومفردة ﴿الجَعْل﴾ في آية ١٢٤ من نفسها.

٣. نرى أن القرآن الكريم تحدث عن البيت وأن للبيت أهلا وأنَّ هناك ارتباطا مباشر بينهما، ليشير الى أن هناك أركاناً ثلاثةً أشار إليها الا وهي «الإمام والبيت والناس» فإذا وجد الإمام صار

اليه الناس، فكان على الإمام أن يطهر البيت لما حمله من أوزار الناس بشرط أن يلتزموا مناسكه، ولكي يحقق مصداق أهل البيت مؤهلا لهذا المرتبة ليقوم بعملية التطهير للناس اطلق عليه القرآن الكريم بـ«أهل» للمكان المعين هو البيت، وقد أُطلِقَ هذا اللفظ «أهل البيت» في حق النبي إبراهيم لأول الأمر: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (٧٣)﴾ هود، وكما ذكرنا أن من يؤهل لهذا المقام يجب أن يكون طاهرا هو بالأساس، لتأتي الآية المباركة توضح فعل الله عز وجل بأهل البيت لأن تكون لهم عناية خاصة مستمرة لإذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم ليقوموا بدورهم بتطهير الناس قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)﴾ الأحزاب، فالتطهير لازم للدور الذي يقوم به المطهر. وطبعا تطهير الخالق جل جلاله للمخلوق شيء، وتطهير المخلوق للمخلوق شيء آخر، وقد استعمل القرآن الكريم هذا الأسلوب في استعمال المفردة نفسها للخالق والمخلوق لكن بمعنيين مغايريّن، كما في آية الصلاة على النبي من سورة الأحزاب، لبيان استعمال المفردة نفسها وهي «الصلاة»، أذ استخدمها مرة لله وثانية للملائكة وثالثة من الذين آمنوا للصلاة على النبي: إذ إن المفردة لها معنى خاص في كل موضع جاءت فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا(٥٦)﴾ الأحزاب.

وايضا تقودنا هذه الآية المباركة «آية التطهير» إلى أن التطهير مستمرٌ إلى يوم الدين، يدور بين ثلاثية عجيبة هي (البيت والمطهِّر (الإمام) والناس).

٤. يبقى لنا ان نعرف من أهل البيت؟ ما شروط التأهيل؟ وهل هناك مصاديق ذكرها القرآن الكريم، فعند الاستمرار مع آيات سورة البقرة اي السياق العام للسورة، وبعدما طلب النبي إبراهيم عليه السلام الإمامة لذريته كما ذكرنا سابقا، نجد أن الذرية المؤهلة قد ذكرت صفاتها وأدوارها(***) ومن تكون. وسنبدأ مع الآيات القرآنية التي بينت دور الإمام الموكل بالبيت ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ(١٢٦)﴾ البقرة، ففي هذه الأية بدأ دور الإمام وهو النبي إبراهيم عليه السلام بالدعاء للبلد الحاضن للبيت ولأهله المؤمنين اي الدعاء لأهل البلد مع العلم أنهم بين مشرك وكافر لكن بين القرآن الكريم أن أهل البلد هم المؤمنون فقط وكما بينا في البحث اللغوي معنى مفردة «الأهل»، أما الكافر فليس من أهل هذا البلد وله التمتع بالحياة الدنيا قليلا، والغضب الأخروي عليه. وبعدها يأتي الدور الثاني للنبي، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧)﴾ البقرة، وهنا المسؤلية الكبرى إظهار قواعد البيت بعد ما مر عليه الطوفان، وهو في عمله هذا ومع كل خطوة يخطوها، يطلب سبيل الله وقبول الأعمال، وقد

أسس النبي عليه الصلاة والسلام لنفسه سابقا علاقة يربط بها ذريته بالبيت فأسكنهم قرب البيت قال تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧)﴾ ابراهيم، ففي الآية السابقة علاقة وطيدة بين الذرية والبيت.

٥. وللاستمرار مع سياق آيات سورة البقرة نجد أن النبي يبدأ دعاءه لنفسه وذريته لعلمه بالمقام العالي لهذا الجَعْل(المرتبة) الإلهي قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)﴾ البقرة، وبعدها تأتي الآيات لتبين مقام النبي إبراهيم عليه السلام وأن الله قد اصطفاه على الخلق لمنصب إمامة الناس ومن ثمَّ منصب أهل البيت قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢)﴾ البقرة، وبعد العمل للوصول إلى هذا المقام والصبر على البلاء ودعوة الذرية للثبات على الإسلام والتسليم لله، استجاب الله تعالى دعاء النبي باصطفاء آل ابراهيم قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ(٣٣)﴾ ال عمران، وقد بين الله المقام العالي الذي امتاز به آل ابراهيم والذي لم يسبقهم أحد فيه قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤)﴾ النساء.

٦. يأخذنا السياق في سورة البقرة الى مقام آخر لآل ابراهيم بأنهم الأمة الوسط التي تشهد على أعمال الخلق وان سيدهم هو الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣)﴾ البقرة، ليكتمل السياق القرآني من مجموع هذه الآيات من سورة البقرة لتبين دور أهل البيت في تطهير هذا البيت وأنهم «الأمة الوسط» ولهم دور هو «شهداء على الناس»، وان ابراهيم صاحب الدعوة المستجابة وختمت رسالة السماء بالمبعوث الأكمل الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو سيد أهل البيت والشاهد على صحائف الأنبياء ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١)﴾ النساء.

٧. إن هذه الذرية من مواصفاتها أنها موحدة وعلى دين واحد أي: لم يدخل لها الشرك قط، وهذا

جهد ابراهيم عليه السلام لجعل ذريته موحدة، وتوارثتها ذراريه من بعده، قال تعالى ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢)﴾ البقرة وهذه الوصية تبين الإيمان من الولادة الى الممات. بعدها يأتي بيان أن عدم حصول الموافقة على هذا المقام «الجَعْل» الإلهي، واستبعاد كل من عنده ذرة شرك في حياته من دائرة «أهل البيت»، ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤)﴾ البقرة. إذ نرى في هذه الآية الموافقة الإلهية بالجَعْل لإبراهيم عليه السلام وبعض ذريته واستبعاد الظالمين أي: الذين لديهم ذرة شرك بالله، قال تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦)﴾ يوسف، وقال تعالى ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ(١٣)﴾ لقمان. وهذا نراه في عيسى بن مريم، فعند عدم توافر الرجل المناسب الخالي من الشرك، صار لزاما أن يكون المولود من غير أب ويصير معجزة زمانه.

٨. بعد هذا البيان عرفنا مواصفات أهل البيت ووظائفهم، يبقي أن نعرف مصاديق أهل البيت، هل هم اي واحد من الناس أو نساء النبي بدليل السياق أو كل المؤمنين كما ذكرنا سابقا في مقدمة البحث، وكما استندوا إلى الآية المباركة: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤)﴾ الأنفال.

لنجد أن هذه الآية تكلمت على المسجد الحرام وعلى أولياء المسجد الحرام، والمسجد الحرام ليس هو البيت، وحتى لو صدق أنه البيت، إن الأية تكلمت على أولياء، والأولياء ليسوا بالضرورة هم أنفسهم الأهل، قد يكون لهم اشتراك من جهة واختلاف من جهة أخرى. الأمر الآخر هو أن من الأدلة السابقة بينا أن أهل البيت قد حددهم الله سبحانه تعالى بأنهم من آل إبراهيم وآل عمران بنص واضح، وأنهم ذرية بعضها من بعض:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤)﴾ ال عمران، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٨٧)﴾ الأنعام، لتبين هذه الآيات أن الذين اصطفاهم الله ضمن دائرة ذراريّ الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وقد تكون النساء داخلة ضمن دائرة أهل البيت لكن بشرط أنها من الذرية المذكورة سابقا، وهذا متحقق في مريم عليها السلام بأنها من آل عمران وأنها تم اصطفاؤها مباشرة من الله قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ

(٤٢)﴾ ال عمران، وهي أيضا فيها شرط الطهارة فمريم عليها السلام مؤهلةً لهذا المقام فإذا ادعي أنها من أهل البيت بنص معين فسيكون مقبولا.

وعلى هذه الأدلة السابقة تخرج الزوجات من أهل البيت وإن جاءت هذه الآيات في السياق. وقدومها بالسياق من باب الاستطراد، ولان الكلام بالأساس كان مع النبي وليس مع أزواجه، حصل الاستطراد لبيان مقام الخاتم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ال نَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا(٢٨)﴾ الأحزاب فبدء الخطاب كان مع النبي ويستطرد الحديث مع النساء ليرجع الخطاب بأن النبي هو من أهل البيت، وينتهي الخطاب بالنبي أيضا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَا تِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا(٥٩)﴾ الأحزاب.

٩. أما ما ورد في آية سورة هود ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (٧٣)﴾ هود، فقد استند لهذه الآية الكثير من المفسرين على انها دليل على ان الزوجة داخلة في أهل البيت، وقد بينا سابقا الشروط الواجب توافرها بالمؤهل ممن يكون من أهل البيت، وعليه إن زوج النبي إبراهيم خارجة من أهل البيت إلا في حال أنها من ذرية الأنبياء السابقين كما ذكرنا سابقا في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٨٧)﴾ الأنعام.

وحتى الذي ورد في هذه الآية هو الرحمة والبركة على أهل البيت باختيار الأم المناسبة لهذه الذرية المؤهلة لمقام أهل البيت. وإن كان الحمل متأخرا فقد يكون ضمن الشروط الواجب توافرها للأم من الأسباب النفسية كالصبر مثلا أو أسباب طبيعية اخرى، حتى تكتمل بها شروط الذرية المناسبة. إذ يمكن أن نستلهم هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠)﴾ الذاريات إذ نجد أنّ آيات سورة الذاريات بينت المعنى المُفَسِر لكلام الملائكة في الآية ٧٣ من سورة هود التي بينت أن الرحمة والبركة على أهل البيت، نجد أن تعجب زوج ابراهيم في وقت هي فيها عجوز، وأن الأمر بحدوث الحمل في هذا الوقت جاء من حكيم عليم، والحكيم العليم لا يأتي بأمر إلا وفيه امر تكويني يحتاج الى اسمين من اسماءه جل وعلا «الحكيم والعليم» يحكم أحدهما الآخر لينتج الفعل المحكم أي كما نقول: ان بهذا العمل الذي وصلت اليه زوج ابراهيم أصبحت مناسبة لتحتضن في رحمها الفرد القادم من أهل البيت، وهذه توافرت بهذه السلسلة النسبية، ولم تتحقق بالسبب أو المصاهرة.

١٠. أما ما ورد في الكلام على سورة الأحزاب، حيث قيل إن آية التطهير جاءت بنساء النبي وذلك لوجود النساء أو في السياق، الأمر المغفول عنه هو أن المدار الذي دارت عليه سورة الأحزاب

هو التعددية الحزبية وأن هناك أحزابا مختلفة، ولكن هناك حزب واحد يجب على الناس الدُوار حوله. وهم أهل البيت، ويحتاجون إلى التطهير حتى في اختيار الأزواج. إذ إن في سورة الأحزاب مقامات للخاتم، بعد آية التطهير، هو مقام الصلاة عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾ الأحزاب. الأمر المهم في سورة الأحزاب هو مقامات الخاتمعليه السلام وليس الزوجات.

١١. وقد ذُكِرَ أنَّ أهل البيت هم آل النبي محمدﷺ حصرا، فنقول لو كان المقصول من أهل البيت هم آل بيت النبي محمد نزولا، لكانت الأية أكثر صراحة من هذه كما ذكرنا سابقا، وهذا نجده في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ (١٣٠)﴾ الصافات، ففي الآية المباركة خطاب مباشر بالسلام على آل ياسين.

١٢. ذكرنا في المقدمة بعض الآراء التي قيلت في «البيت»، وأن المقصود به بيت أم سلمة، فهذا الفرض أو الرأي مخالف لسياقات الآيات القرآنية التي تسبق آية التطهير في مخاطبة أزواج النبي، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا(٣٤)﴾ الأحزاب، ففي الآيتين السابقتين نجد أن الكلام موجه بقوة إلى بيوت أزواج النبي من غير استثناء، فليس من المعقول والمخالف للخطاب الإلهي وبعد مخاطبة الجميع من غير استثناء، يحصل استثناء بأن بيت إحدى الأزواج انفرد بهذه الكرامة العظيمة !!. وهذا غير متحقق لانعدام القرينة الدالة على أنه بيت إحدى الأزواج وإنما كان البيت معرفاً بالألف واللام ليدل على بيت معين وله كرامة. وقيل بأنّ البيت هو بيت أم سلمة من الرواية الواردة عن النبي الأكرم، وسأناقش هذا في البحث الروائي.

١٣. إن القرآن الكريم لم يذكر «أهل البيت» للإشارة إلى أشخاص موجودين في بيت معين وإنما اشارة إلى الأشخاص بأنهم أهل وإضافة قرينة معينة. أي إن القرآن استعمل مفردة «الاهل» لمعنى الأهلية كما ذكرنا في المعنى اللغوي، وهنا نذكر بعض الموارد للمثال:

أ. في نوح وأهله قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٢٧)﴾ المؤمنون وقد تم استثناء ابن نوح لأنه لم يتوافق مع ابيه من ناحية الإيمان ولم يأنس له أو بمعنى آخر لم يكن هناك تقارب فكري بينهما، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ(٤٦)﴾ هود.

ب. في لوط وأهله قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ

رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١)﴾ هود. وقد يُنفى عنوان الأهلية عمن ينتفي عنه التعلق والتوافق والاختصاص (المصطفوي، ص ١٨٤).

وقد يرد إشكال للموردين السابقين على صحة معنى الأهل لما ذكرتُ أنه يأتي للمتوافقين فقط، بل إن معنى الاهل شامل للجميع. ويكون الإشكال بهذا الشكل: ففي الآيتين السابقتين يذكر القرآن الأهل وبعدها يستثني، أي إن القرآن قد شمل امرأة النبي (زوجته) بالأهل واستثنى على الرغم من أن الزوجة لم تكن متوافقة مع النبي في الفكر (كما بينا سابقا)، مما يعطينا دليلا على أن معنى أهل يشمل الزوجات أيضا، والاستثناء دال على أنها أخرجت بالاستثناء.

وللإجابة عن هذا الإشكال نجد أن القرآن الكريم استعمل هذه الطريقة، كما في قوله تعالى حين خاطب صنف الملائكة وبعدها استثنى إبليس قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤)﴾ البقرة وإن ابليس لم يكن من الملائكة فخاطبه الله بخطاب الملائكة نفسه قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠)﴾ الكهف. فهنا القرآن الكريم أشار إلى أن إبليس كان من المفترض أن يكون من الملائكة ومؤهلاً لأن يصعد الى مرتبة الملائكة فشمل بالأمر الأهلي، لكنه فسق عن أمر ربه.

وهذا سارٍ على امرأة لوط، كونها قد أُعطيت مقام قد يؤهلها أن تكون من أهل لوط باقترانها بالنبي، لكنها لم تحصل على هذا المقام.

ج. وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢)﴾ طه.

حيث نلاحظ من الموارد الثلاثة السابقة اقتران «أهل» بقرينة لبيان أنها تمثل أناسا لهم علاقة بشخص معين.

قد ورد عن بعضهم أنه قال: إن الأهل هي الزوجة وإنها أساس في مكون الأهل كما وردت في قوله تعالى: ﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠)﴾ طه، فقد أجبنا سابقا بأن الكلمة شاملة لأكثر من الزوجة وقد لا تشمل الزوجة. وقد ورد «أهل» في القرآن للإشارة إلى غير الزوج: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦)﴾ يوسف، وهنا الشاهد هو من أهل أمرأة العزيز، اي من أقربائها المقربين. وبطبيعة الحال ليس المقصود به الزوجة.

وردت في القرآن الكريم اجتماع مفردة «أهل» مع «بيت» للإشارة إلى أشخاص معينين، لكنه يأتي بأسلوب المضاف والمضاف إليه ويكون البيت نكرة، قال تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ

نَاصِحُونَ (١٢) ﴾ القصص، إذ نجد أن البيت في هذه الآية نكرة ولم يُعرّف البيت للإشارة بالفرق بين البيت المعرف بالألف واللام وغير المعرف بالألف والآم.

ورد في القرآن الكريم اقتران مفردة «أهل» بمعرفة كمفردة «اهل الكتاب»، او «أهل القرى» للإشارة للعموم أما إذا أراد أن يخصص فتأتي قرينة مثل الضمير، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤)﴾ العنكبوت، مما يثبت أن أهل البيت في آية التطهير لم تخصص أي بيت من بيوت الأزواج.

١٤. في آية التطهير، يتحول الضمير من المؤنث الى المذكر، «عنكم»، وهذا بيان دلالة أن الجمع هنا هم أهل البيت في حال العموم. وأنّ للنبي الخاتم في زمانه المكلف بالبيت، وأنّ لكل زمان إماما يكلف بالبيت، وأن لا يخلّف عن البيت إن كان ظاهرا أو باطنا ليقوم بتطهير البيت لحجاج بيت الله، وهو الدور نفسه الذي بدأ به النبي إبراهيم ليستمر هذا لكل فرد من أهل البيت، قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ(٢٧)﴾ الحج. ويتبعه من نص عليهم في الروايات الواردة عنه، كما سنبحثها في البحث الروائي.

١٥. ورد في القرآن الكريم «المسجد الحرام» وقد اختلف المفسرون في تعيين المسجد الحرام، فمنهم من قال: إن البيت الحرام هو المسجد الحرام، كقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(١)﴾ الإسراء ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩)﴾ البقرة، بوصف البيت هو القبلة التي يتوجه اليه المسلمون في الصلاة، وبعض قال: إنه الفناء حول البيت. لكن عند مراجعة الآيات الواردة في القرآن الكريم نجد هناك فرقا بين البيت الحرام والمسجد الحرام، كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(٩٧)﴾ المائدة، وفيه بيان أن الكعبة هي البيت الحرام. قال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩)﴾ الحج وفي هذه الأية بيان أن الطواف حول البيت العتيق (هو من أسماء البيت الحرام او الكعبة لخصوصية معينة)، وهذا أيضا متعارف عليه عند العرب حتى في الجاهلية.

اما قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ(١٤٤)﴾ البقرة. تبين ان هذا التوجه

بالصلاة إلى المسجد الحرام في حال البعد من البيت، أي: قد تكون خارج مكة أو أي مكان في العالم. اذ نجد في قوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ(١٩١)﴾ البقرة إن هذه الآيات تشمل مكة المكرمة، وآيات أخرى تشير إلى أن المسجد الحرام يتسع مداه وليس هو البيت الحرام نفسه، كما في قوله تعالى نجد أنّ له أهلا: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(١٩٦)﴾ البقرة وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٢١٧)﴾ البقرة.

١٦. ورد في القرآن الكريم آيات استعملت عبارة «المسجد الحرام» في مواضع عديدة وأن للمسجد الحرام من يعمره كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٧) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨) أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(١٩)﴾ التوبة، إذ بينت الآيات السابقة أن عمارة المسجد المادي لا قيمة لها موازنة بالإيمان وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وخشية الله، وبينت أنّ السقاية والعمارة المتعارفة هي للمسجد الحرام وليس للبيت الحرام، بوصف أن السقاية تشمل سقي الحجاج بالماء للشرب (كما ذكرناه في البحث التاريخي)، والنظافة أو التطهير الظاهري.

وكذلك له أولياء وقد عرف الله درجة أولياء المسجد الحرام قال تعالى:

﴿مَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٣٤)﴾ الأنفال.

فمما تقدم من الآيات وما ذكرناه في البحث التاريخي، أنّ البيت الحرام هو الكعبة، أما المسجد الحرام فيبدأ من الحدود الخارجية للبيت ويتسع، وقد

تصل حرمة المكان إلى أن يشمل مكة المكرمة بأكملها كما أشارت الآيات السابقة. فأهل المسجد غير أهل البيت وقد يحصل اشتراك بهما.

المبحث الرابع: البحث الروائي

في هذا الجزء من البحث، نناقش بعض الروايات التي بينت مصاديق لأهل البيت، وهذا البحث هو بحث تعزيزي للمرتكز الذي اعتمده هذا البحث وهو البحث القرآني. ولم ندخل بهذه البحث إلى بحث جدلي ولا بحثنا في السند والدلالة وغيرها، وإنما أخذنا الروايات لعرض أهم الأمور المتعلقة بمحل الشاهد المعزز للبحث القرآني. ورتبناه على شكل نقاط وهي:

١. الرواية: «عن أم سلمة زوج النبيﷺ أن هذه الآية نزلت في بيتها: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)، قالت: وأنا جالسة عند الباب، فقلت: يا رسول الله، ألست من أهل البيت؟ فقال: ((إنك إلى خير، إنك من أزواج رسول اللهﷺ)).

قالت: وفي البيت رسول الله، علي، وفاطمة والحسن والحسين، فجللهم بكساء، وقال: ((اللهم، هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا))» (البحراني، ج٦، ص ٢٨٣). وقد تم الاستناد إلى هذه الرواية لبيان أن البيت هو بيت أم سلمة، وأن الرسول الأكرمﷺ لم يدخلها في الكساء ولم يجمعها معهم بعنوان أهل البيت وهو ما يؤيد ما قدمناه في البحث فلو كان البيت هو بيت أم سلمة لكانت أم سلمة داخلة في أهل البيت من غير شك أو ريب، لأن (البيت) معرف بالألف واللام فهي شاملة لكل من سكن البيت، ولا سيما أنها كانت حاضرة، ونرى خلافه أن رسول اللهﷺ قد اخرجها من أهل البيت.علما أن هناك رواية وردت عن طريق الفريقين تبين أن الهرة من أهل البيت. الرواية الأولى: «محمد بن الحسن بإسناده، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد اللهعليه السلام في الهرة أنها من أهل البيت ويتوضأ من سؤرها»(العاملي، ج١، ص ٢٢٧). والمورد الآخر للمضمون نفسه: «السنور من أهل البيت وإنه من الطوافين أو الطوافات عليكم الـراوي: أبو قتادة المحدث: الألباني(صحيح الجامع، ص ٣٦٩٤) . هذه الروايات أشارت إلى أهل البيت العرفي وهو بيت السكنى، فكيف تكون الهـرة الطوافة التي تنتقل من بيت إلى بيت من أهل البيت (عرفا)، وأم سلمة ليست من أهل البيت الذي هو بيتها !!. وهذا مما يؤكد بحثنا أن البيت ليس بيت أم سلمة. وإن النبي الأكرم أراد بعمله هذا بيان المصاديق الحقيقية لأهل البيت في زمانه ومن يخلفه بعده في إتمام الدور (الالباني، ١٩٨٨، ص٦٨٨).

٢. الرواية الأخرى: ((قول الإمام الحسن بن عليعليهما السلام: وهذا باب أبي قرين باب رسول اللهﷺ في مسجده، ومنزلنا بين منازل رسول اللهﷺ، وذلك أن الله أمر نبيهﷺ أن يبنى مسجده، فبنى فيه عشرة أبيات، تسعة لبنيه وأزواجه، وعاشرها –وهو متوسطها– لأبي، فها هو بسبيل مقيم، والبيت هو المسجد المطهر، وهو الذي قال الله تعالى: (أهل البيت)، فنحن أهل البيت

ونحن الذين أذهب الله عنا الرجس، وطهرنا تطهيرا....)) (البحراني، ج٦، ص ٢٦٩)، من هذه الرواية تبين أن البيت هو مسجد رسول الله (في البحث القرآني لم يثبت ان البيت هو مسجد النبي بالشكل الصريح الظاهر ، لكن قد يثبت بالضمن بإعتبار المساجد هي بيوت الله). وعلى فرض صدور هذه الرواية، نفيد منها أن البيت هنا لم يقصد به البيت النسبي، وإنما البيت الارتباطي إن صح التعبير بما يرتبط بالمسجد، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا(١٨)﴾ الجن، ولما كانت المساجد لله، وان المساجد هي بيوت العبادة وأن البيت الحرام هو أولها وأصلها وكل بيت عبادة راجع إلى البيت الحرام، لذلك والله العالم أراد الإمام الحسن أن يبين ذلك وقد أشار إلى مسجد الرسول لأنه الأقرب إلى الحاضرين من جهة، وأن موقع بيتهم في وسط البيوت ومركزها.

الخاتمة والاستنتاجات

إن تعلم معارف القرآن الكريم، هي من أفضل الأعمال فهي ترفع مقام المتعلم به، وقد روي عن رسول اللهﷺ: «خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ» (الترمذي، ١٩٨٣، ج٤، ص٢٤٦)، فهو ربيع للقلوب، وروي عن الإمام عليعليه السلام: «واعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُو النَّاصِحُ الَّذِي لا يَغُشُّ، والْهَادِي الَّذِي لا يُضِلُّ... فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ... فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وهُو: الْكُفْرُ والنِّفَاقُ والْغَيُّ والضَّلالُ... واعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ... واسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ، واسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، واتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُم» (ابن ابي الحديد المعتزلي، ج١٠، ص ١٨). وعليه نحتاج أن نسأله قبل الذهاب الى السنة النبوية، فهو لديه الكثير من الإجابات الوافية للأصول المعرفية، وبعده نذهب إلى السنة لتعطينا المصاديق الحقة. فبعد البحث الذي أجريناه وما قدمناه من أدلة قرآنية، واستدلالات لغوية نستنتج من بحثنا النقاط ما يأتي:

١. إن مفردة «البيت» في اللغة هي رجوع الفرد إلى ملاذه ليحصل له استقراره فيه، ولذلك سميت المساجد أو أماكن العبادة بيت أو بيوت الله حتى يلوذ الناس إليها.
٢. إن مفردة «البيت» الواردة في آية التطهير هي للإشارة إلى الكعبة المشرفة، وليس لبيت آخر، لأن القران الكريم لم يعرف بالألف واللام أي بيت إلا بيت الله الكعبة المشرفة.
٣. ان مفردة «الأهل» في معجمات اللغة العربية تشير إلى مصاديق عديدة لكن الأصل لهذه المفردة للإشارة إلى التقارب الفكري بين الشخص ومن ينتسب إليه فكريا وعقدياً، وبإجتماعهما (أي بين الفرد وأهله) يحصل تكامل بلحاظ معين للجميع. فقد تكون الزوجة أهل والإبن أهل إذا حققا هذا التقارب الفكري، وقد يخرجون من هذا التقارب فلا يكونون أهلا على الرغم ما بينهم من صلة قرابة أو كما يعرف بـ «الآل». أما ما يستعمل من مصاديق لمفردة الأهل بأنها الزوجة أو الأولاد فهي من الخلط بين الأصل والمصداق. وقد وجدنا أن القرآن أشار بمواضع عديدة ذكرناها في أصل

البحث، أنها أكدت هذا المعنى في مفردة الأهل.

٤. إن مفردة «أهل البيت» في القرآن الكريم هو مقام عالٍ، لا يُحصَّلُ عليه بالمصاهرة، بل من يريد هذا المقام يجب عليه أن يعد نفسه لاستقبال رسالة الله عز وجل، وأن يؤمن بالله ولا يشرك به شيئا، ويخلص عمله بأعلى درجات الإخلاص ليصبح من المُخلِصين، ليرتقي بعدها إلى درجة أعلى وهي درجة المُخلَصين ليصطفيه الله لنفسه لأداء الرسالة السماوية، ليصبح المكلف من الله عز وجل لأداء واجب هداية الخلق. وأهم هذه التكاليف التي أختص بها أهل البيت في بحثنا هو تطهير البيت لما حَمَلَ من أوزار الناس من الشرك والهوى وعبادة غير الله، وأطلق القرآن الكريم عليهم اسم «أهل البيت». وحتى يحصل أهل البيت على القدرة لتطهير البيت كانوا بأمس الحاجة إلى عناية الله لهم، فحقق لهم عز وجل هذه العناية بتطهيرهم ورفع الرجس عنهم، وليقوموا بدورهم بأحسن وجه.

٥. إن القرآن الكريم بين أن الأفراد الذين يدخلون تحت عنوان (أهل البيت) يجب أن تتوافر فيهم شروطٌ، أولها: أنهم من ذرية معينة بعضها من بعض، لا يخرجون من هذه الذرية، كون بعض هذه الذرية حققت أسبابا طبيعية في تكوينها ألا وهي صفات الكمال الطبيعية من العقل ومكارم الأخلاق والشجاعة والكرم وغيرها لتتهيئ أنفسهم لاستقبال الشروط الأخرى. وثانيها: أن من يُنتَخَب ان يكون من (أهل البيت) يجب الا يدخل عليه الشرك من الحياة إلى الممات، وثالثها: أن يمر بابتلاءات، فإذا أتم هذه الابتلاءات وصل إلى هذا المقام. ومن هذه الصفات والشروط تتبين أنهم مصداقا أعلى للشجرة الطيبة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥)﴾ ابراهيم.

٦. إن القرآن الكريم بين بعض مصاديق هؤلاء الأفراد، فكان أبرزهم إبراهيم عليه السلام وثلة مختارة من ذراريه، فهم فعلا حققوا الشروط الأساسية، وإذا أمعنا النظر قليلا في هذا الأمر نستنتج أن الذرية الملائمة لتحقق الشروط الآنف ذكرها هم الإنبياء والمرسلين ابتداءً من النبي آدم مرورا بإبراهيم عليه السلام. لكن القرآن الكريم بين الأمر على نحو جلي في قصة ابراهيم عليه السلام، فعند استعراض الآيات التي تكلمت على النبي إبراهيم عليه السلام نجد أنها لخصت الشروط الواجب تحققها في المؤهل لمقام أهل البيت، وما عليهم من واجبات. وكذلك بين القرآن الكريم الأعمال التي على الإنسان المؤهل مراعاتها في الوصول إلى هذا المقام. إذ نجد أن النبي ابراهيم عليه السلام عمل جاهدا لأن يبقى هذا المقام لذريته، بالعمل تارة والدعاء تارة أخرى، واستجيبت دعوة إبراهيم عليه السلام لبعض هذه الذرية، إذ تفرعت منه الأنبياء والأئمة.

٧. كان هناك سعي حثيث من النبي إبراهيم عليه السلام لأن يُحكِمَ ذريته من عدم دخول الشرك عليها، لإنه عالما أن الإمامة ومقام أهل البيت ممكن

في هذه الذرية لأنها محققة للشرط الأساس، وبدوره سعى بكل الوسائل لتصبح مهيئة لاحتضان الرسالة والتكاليف الإلهية ومقام أهل البيت.

٨. إن الخاتم محمدﷺ هو من ذرية إبراهيمعليه السلام ولما كان سيد الخلق أجمعين، فهو سيد أهل البيت. قد نصﷺ على أهل البيت بعده بحديث الكساء المتفق عليه، فهذا البحث يؤيد أن حديث الكساء أعطى مصداقا لأهل البيت لكن ليس محصورا بهم فقط.

٩. إن هناك ثلاثية مترابطة على مر الأزمنة من بداية الخلافة الإلهية على الأرض، وهي البيت وأهل البيت (الإمام)، والناس. هذه الثلاثية لا تختلف ولا تتخلف. فإذا وجد الناس وجد البيت، وإذا وجد البيت، سعى إليه الناس ليطهرهم. وهنا يجيء دور أهل البيت (الإمام) لأن يقوم بتطهير البيت للناس.

١٠. إن مقام «أهل البيت» مستمر مع وجود البيت والناس، وبعده يأتي المتعلق الثالث وهو الإمام ظاهرا للعلن أو غائبا لا فرق، لأن وظيفته هي التطهير الأنفسي للناس، ولما كانت الأنفس والأرواح من الغيب، فقد يكون المطهِّر غائبا لأن مثل هذا العمل لا يحتاج الى حضور، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا(٤١)﴾ النساء.

١١. إن الآراء السابقة التي تكلمت على آية التطهير ولاسيما على مفردة «أهل البيت»، تقرّر انها نازلة في أزواج النبي وهم مصاديق أهل البيت بدلالة ان مفردة «الأهل» تمثل الزوجة، وان البيت هو بيت زوج النبي.

لكن مما تقدم تبين ان أزواج النبي لا تدخل ضمن أهل البيت لأنهن لا يحققن الشروط المذكورة آنفا، وهي ذرية النبوة من جهة، وشروط الاصطفاء من جهة أخرى.

١٢. إن ورود السياق في آية التطهير حول القول بأن الخطاب موجه إلى أزواج النبي، فهذا الكلام غير تام، إنما هو استطراد لبيان أن النبي كان مصداقاً لأهل البيت، ولكي تكون له زوج، يجب أن تتحلى الزوجة بمواصفات معينة لتستحق مصاهرة الولي، ولاحتضان ابن الولي، وهذا ما ورد في زوج النبي إبراهيمعليه السلام عندما حملت بالنبي إسحاق، فكان الخطاب في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (٧٣)﴾ هود ففي هذه الآية استطراد مشابه للاستطراد الحاصل في ازواج النبي الخاتم، حيث تغير الخطاب من ضمير المؤنث إلى ضمير الجمع. وممكن فهمه أنه بعد توافر الشروط اللازمة في هذه الزوجة ونضجها بعد العمر الطويل استحقت أن تحتضن في رحمها الولي الجديد.

١٣. إن من نتائج هذا البحث أيضا، وجدنا توسعاً لدائرة أهل البيت المذكورين في آية التطهير، التي ظلت محددة وتدور بين أصحاب الكساء والزوجات، لتشمل بعضاً من الأنبياء والمرسلين والأوصياء وكل من تحققت بهم الشروط الخاصة.

نسأل الله أن نكون قد وفقنا في هذا البحث لما يحب ويرضى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا الخاتم محمد وآله، وحفظ المسلمين جميعا في بقاع الأرض ووفقهم للعمل بالقرآن الكريم إنه حميد مجيد.

الهوامش

(*) هذا الراي منقول عن الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن باز، حول حكم دخول مكة المكرمة لزيارة أقارب او حاجة دون احرام.

(**)هذا الراي منقول عن الموقع الرسمي لسماحة السيد السيستاني، حول حكم الدخول في مكة والحرم المكي.

(***) تم ذكر مفردة «أدوار» او «دور» للإشارة ان للشخص الموكل بالبيت (الامام) تكاليف معينة لا مجرد اثار او اعمال يستطيع أي انسان ان يعملها وهو شان خاص بهذا الامام، ونلاحظ ان القران الكريم عين إبراهيم عليه السلام لهذا المقام وبين الدور الذي يقوم به، وعندما ذكر في القران هو من باب المقل وهو الامام المتحقق لتلك الفترة، وان هذا الدور والشأن مستمر الى قيام يوم الدين من قبل القائم على البيت.

المصادر والمراجع

القران الكريم.

١. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (ت: ١٤٢٠هـ) صحيح الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير)، الناشر: المكتب الإسلامي، ط٣، بيروت، ١٩٨٨م.

٢. الآلوسي، شهاب الدين محمود الالوسي البغدادي، (ت: ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٣. البحراني، العلامة المحدث السيد هاشم، البرهان في تفسير القرآن،حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت.

٤. الترمذي، الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى (ت: ٢٧٩هـ) سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح، تحقيق: عبد الرحمن محمد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، بيروت، ١٩٨٣م.

٥. الجوهري الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، طبع إيران، ١٢٧٠هـ.

٦. ابن ابي الحديد المعتزلي، عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله (ت: ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو للفضل إبراهيم، ط١، دار احياء الكتب العربية، مصر، ١٩٥٩م.

٧. الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت: ١١٠٤هـ/ ١٦٩٣م)، وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: محمد الرازي، تعليق: ابي الحسن الشعراني، احياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٨. أبي حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت: ٧٤٥هـ)،تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د.ت.

٩. الطباطبائي، العلامة محمّد حسين (ت١٤٠٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن، مؤسّسة الأعلمي، الطبعة الأُولى المحقّقة، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٠. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحين الطبرسي، (ت: ٥٤٨هـ) مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت، نشر الكتروني: شبكة الفكر، د.ت.

١١. علي، الدكتور جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ساعدت جامعة بغداد على نشره، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١٢. ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مصر، ١٣٩٠هـ.

١٣. فخر الدين الرازي، محمّد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الشافعي (ت: ٦٠٤هـ)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان-بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١٤. الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي ثم الحموي، (ت: نحو ٧٧٠هـ) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، طبع مصر، ١٣١٣هـ.

١٥. قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلامية، المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته، اشراف: الأستاذ محمد واعظ زادة الخراساني، شبكة كتب الشيعة،ط٢، قم، ١٤٢٩.

١٦. قطب، سيد، في ظلال القرآن، طبعة الكترونية.

١٧. المصطفوي، المحقق العلامة حسن،التحقيق في مفردات القرآن الكريم، طهران، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، ١٣٨٥هـ.

١٨. ابن منظور: محمّد بن مُكرَّم بن علي بن أحمد بن حبقة الأنصاري (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار التراث العربي، بيروت، ١٣٢٥هـ.

١٩. الموقع الإلكتروني الرسمي لسماحة السيد السيستاني.

٢٠. الموقع الإلكتروني الرسمي لسماحة الشيخ بن باز.